الحياة صارخة !

٢ ـ العـــدل الالهى !

مقدمات لازمة للمؤمن والباحث

[مهداة إلى العقاد الكبير بمناسبة
مقاله « تبارك رزاق البرايا »]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

٦ — لقد وجدت من حسن حظ الإنسانية فى هذا العصر نظم صالحة تسمح لدعوات الحق والصلاح أن تتخذ طريقها وتزاحم فى أسواق الحياة بدون عوائق غير طبيعية ، بعد أن قدست حرية الفكر والقول وسمح لكل فرد أن يقول ما عنده بدون سباب أو أذى .

لقد تيقظت الإنسانية لحياتها وقيمتها ، وعرفت قيمة الفرد فيها ، فأفسحت الأمم الراقية له المجال ليخدمها بالقول والفعل مهما كان مايدعو إليه جديداً غريباً ؛ ومتى أخذ الناس أنفسهم أن يسمعوا لكل قائل ثم يحاكموه إلى العقل فهم فى تقدم . فعلى كل مظلوم أن يصرخ ! وعلى كل داع أن يتكلم ، وعلى الجماعة أن تسمع لهذا ولهذا .

والظلم السياسى أو الاقتصادى من القوى أو الغنى للضعيف المحروم هو الذى يجعل الإنسان يكفر أو يشك فى العدل الألهى . . وطبيعي أن الله لا يتدخل فى كل شىء بين الناس تدخلا ظاهراً . . وهو قد أقام قوانين الطبيعة حدوداً يتحاكم الناس إليها . . فالنار تحرق من يضع يده فيها سواء أكان صديقا أم عدواً . . والتردى من شاهق يهلك ، والتعرض للمرض يمرض ، والماء يغرق . وهكذا كل عمل له نتائجه الحتمية لأنها قوانين طبيعية لا تبديل لها ولا تحويل . . والله يترك لقوانين الطبيعة العقاب الطبيعى على كل مخالفة يرتكبها الفرد أو الأمة نحو تلك القوانين . ذلك ظاهر واضح فى مجال الطبيعة .

وأما فى مجال الإنسان فالاختيار أفسد عنده كثيراً مما كان يجب أن يسير عليه سيراً طبيعياً ، إذ قد ملأ حياته بالتهاون .

فالظالم يظلم وعلى المظلوم أن يثأر لنفسه ، ولو كلفه ذلك حياته . ذلك حكم الطبيعة وردها الإيجابى كما ردت بالاحراق على من دس يده فى النار . . ولكن المظلوم كثيراً ما يغفل ويهمل الإصرار على أخذ حقه ، وكثيراً ما تبطىء الجماعة أو تهمل فى رد حقه عليه .

وما دمنا نعيش فى جماعة فلا بد أن تتولى هى الأخذ بثأر المظلوم من ظالمه حتى لا ينفرط العقد الاجتماعى . . فإذا فرط المظلوم فى حقه ، وإذا فرطت الجماعة فى الانتصاف له كان هنا حينئذ قانون طبيعى اجتماعى اعتدى عليه وخولف ولم يكن له من الإنسان تصحيح ورد لقيمته . وكان وراء ذلك حتما ثلمة فى الجماعة يتطرق منها الفساد . فليس الذنب هنا ذنب العدل الألهى ولكن ذنب الجماعة التى برهنت حين أهملت الاقتصاص من ظالمها أو ظالم أحد أفرادها ، مع أنها أقوى من ذلك الظالم ، على أنها لا تستحق الحياة الرشيدة لأنها لا تعرف قوانين المقاومة ، وعلى أنها غثاء وقش يستحق أن تضغطه قوة أخرى أصلح منه للسيطرة على الحياة .

إن الله يقاوم النفس بالنفس كما يقاوم أى قوة طبيعية بقوة مضادة لها ليضمن التناسق والصلاح ودوام كل شىء كما وضعه وجعله يسير فى دورانه الأبدية .

وإن حجته الناهضة على عدله أنه لم يجعل لأحد سيطرة على فكر أحد وشعوره القلبى . فلن تستطيع أية قوة أرضية أن تتحكم فى فكرك وشعورك ، فإذا أحسست بظلم ، فأمام نفسك قوة حرة تستعين بها : هى حرية الحركة الفكرية والغضبية لرد الظلم عنك ، فلا تغفل حقك فى الحياة ، ولا ترضى بها غير كاملة الحقوق ، ولا ترض بحياة الضعف مهما كلفك السعى للقوة ، واستمع لهذا الصوت المتفجر من ضمير الكون يصيح بك :

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم . قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ ! فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » .

٧ — وأول واجبات الجماعة أن تبحث عن أصلح رجالها لتوليه حكمها . أى أن توسد الأمر إلى أهله ، وأن تقيم حدود حياتها ولا تتهاون أو تستثنى فيها ، ثم تترك لحاكمها أن يحكمها بالعدالة والقوة القاهرة الرادعة

ذلك هو أسلوب الله فى حكم العالم : قوة وإحاطة ، وقهر ويقظة ، وعدالة ومجازاة .

وإن الجماعة هى المسئولة عن كل ظلم أو فساد يتطرق إليها . وإن الله لا يتدخل بتغيير شيء فى حياتها إلا إذا أرادت وغيرت ما بنفوسها ، إنه جعلها فى الأرض صاحبة سلطان يكاد يكون مطلقا فى شئون حياتها الاجتماعية وعلى هذا فهو غير مسئول عن توزيع الثروات توزيعاً ظالما ولا عن شيوع الجهالة والآثام .

من قال إن لكل إنسان الحق فى أن يملك جزءاً كبيراً من ثروة وطنه التى جمعها له كثيرون من العمال والفقراء ، ثم لا يؤدى حق الفقير والمحروم ، ويترك أبناءهم يبحثون عن اللقمة والخرقة فى المزابل كما نرى ! بينما هو يكاد رأسه يتحطم بعمليات حساب أمواله المكدسة ! ؟

من الذى أباح للانسان أن يملك أكثر من حاجات نفسه وكمالياتها فى متوسط عمر الانسان ؟ فإذا كفل أن يملأ مطبخه كل يوم بألوان مختلفة كثيرة ، وداره بالفرش والرياش الفاخرة ، واسطبله بالخيول المطهمة والسيارات الفخمة ، وفناء داره بالأزهار وهكذا . . فما باله يشح على أمته فيما وراء ذلك ؟ !

فإذا تمتع كما يحلوله وأفرط فى ذلك حتى مرض فما باله ينسب ذلك المرض إلى الله ويسخط عليه ؟ !

من قال للانسان الغنى ، أو الفقير : احشد على مائدتك كل مادة مغلظة . . أو كل لحم المريض من البهائم ، أو كل مالا تطيقه أحشاؤك . . أو كل طعام الصيف فى الشتاء وطعام الشتاء فى الصيف ، أو أفرط فى السهر وعربد وأطلق لأهوائك وشهواتك العنان وسوف لا يكون من وراء ذلك شقاء ولا هم يحزنون ؟ !

ومن قال لك : كن قوادا لفلان . . أو ماسح حذاء فلان ، أو تمامًا له لترقى أو تنال درجة أو وظيفة ؟

ومن قال لك : بع حريتك واجعل خدك مداسا وقل للكلاب : يا سادتى . . فى سبيل الخبز القذر المعجون بدموع الذلة !

ومن قال لك : اترك ابنك قذر الجسم والثوب عليه التراب والذباب لأن العمر بيد الله ؟ !

ومن قال لك : لا تحافظ على الطفولة «منطقة نمو الإنسانية» وأخرجها ضعيفة جاهلة ؟ !

ومن قال : إن الحياة آلام ومشقات ؟

من قال ؟ ومن قال ؟ ومن قال ؟ آلله قال هذا ! أم الجماعة الفاسدة هى قالت ذلك ونسبته إلى الله ، جعلتك تتهجم على العدل الأسمى الذى أقام الناموس الطبيعى بموازين لا تخطىء ولا تحابى ؟ !

اسمع ما يقول القرآن : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ؛ ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » . « وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » . « يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاتقون » والتقوى كلمة جامعة ينبغى أن يكون لها مدلولها الأول : وهو العمل الوقائى للخير ولدفع الشر . « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم » إلى آخر الآية التى مر ذكرها .

٨ — قم إلى جسمك وقوه بالرياضة وحافظ عليه من عوامل الفساد ، ولا تأكل إلا ما يسمح لك به الطب ، ولا تسرف فى الأكل والشرب ، ونق جسمك من الأخلاط والفضلات الضارة . . ثم انظر هل يبقى به من سقم أو كلال إلا ما تستتبعه الحياة العادية فى الأرض ؟ !

وقم إلى منزلك ومتعه بهبات الله من الشمس والضياء والهواء والبعد عن المفوفات والرطوبات ثم انظر هل تجد فيه غير بهجة الحياة ؟

وقم إلى فكرك وعلمه وهذبه وسلحه بأدوات العصر وقلبه فى أعاجيب الكون ، ثم انظر هل تجد بعد ذلك سخطا فى نفسك وتشاؤما ؟ ! وقم إلى حواسك ومتعها بالجمال المباح ولا تحرمها من زينة الله التى أخرج لعباده ، وأذهب عنها الملل والسأم وعنت الجد والعمل ببعض اللهو واللعب المشروع ، وغن فى غير فحش إن كنت حسن الصوت ، واسمع الغناء والألحان فى غير إسراف ، وارقص رقص الرجال ، رقص الفتوة وطفور القوة الذى لا تختث فيه ولا شهوة ولا مخاصرة ، لتنفض عن كتفيك أعباء الهموم فى بعض ساعات حياتك . . واضحك من قلبك كطفل ، وافرح بالشمس والقمر ، وأسلم جسمك للنسمات . ولكن احذر أن تحول الاحساس بالراحة من عنت الأعمال الجدية إلى شهوة تتملكك وتسلبك التحكم فى إرادتك وتعنعك من أداء واجباتك . فإن هذه الملاهى والراحات ما حرمت عند بعض المتزمتين إلا لأنها تطغى على النفس وتحتمها عن الواجبات . وكما أن الماء يحرم إذا أورث شاربه

عن المعانى والالفاظ كل على انفراد . فلن يبرز المعنى الواحد الا فى صورة واحدة ، فاذا اختلفت الصورة اختلف المعنى بقدر اختلافها . وقد لا يتأثر المعنى العام فى ذاته ، ولكن صورته فى النفس والذهن تختلف ، وهى المعول عليها فى الفن ، اذ التعبير للتأثير ، فاذا اختلف الاثر الناشىء عنه ، فالمعنى المنقول مختلف بلا مراء ! »

هذا ما كتبته يومذاك . وفيه اقرار بالفضل للمفكر الاول ، مهما يكن فى عرضه للرأى من تقصير ، ذلك أنه لا يطالب بالكمال فى ذلك الزمن البعيد

ثم يستطرد المؤلف إلى أن اللفظ قد استبد بالأدب العربى وأن آداب اللغة العربية جميعها آداب لفظية ، وشىء كثير من هذا صحيح . هو صحيح بالقياس الى النثر العربى بلا جدال . أما بالقياس الى الشعر فالأمر قد يختلف . ذلك أن هذا الشعر على ما فيه من عيوب تعرضت لها فى مقالين قريبين بالرسالة واقتبس منهما الأستاذ عادل فى الاستشهاد على هذا الرأى بعض الفقرات — أقول على الرغم من ذلك فانه لم يخل من القليل الجيد الحي المعبر عن الحالات النفسية والخلجات الطبيعية ، التى تبرز فيه من وراء الالفاظ حتى لتتوارى هذه الالفاظ ، والمجال لا يتسع هنا لضرب الأمثال ، فأنا معجل عنها إلى قضية أخرى تعرض لها الأستاذ عادل تعرضا لم يرض الكثيرين وذلك حين يقول :

« ولعل مما يلقى بعض الضوء على سر استبداد اللفظ بأدباء العرب ما قاله «موم» بصدد الأسلوب الأدبى فى أمريكا . ففى رأيه أن هذا الأسلوب الذى تستعد معظم مقوماته من لغة الجمهور الحية يعتبر — فى نماذجه الجيدة — أكثر أصالة وحيوية من أسلوب الكتاب الانجليز . وهو يرجع علة ذلك إلى أن الكتاب الامريكيين نجوا من استعباد الترجمة الانجليزية للتوراة التى وضعت فى عصر الملك جيمس » كما أنهم كانوا أقل تأثراً « بالاساتذة » الانجليز القدماء . والحق إن تحكم كتاب بعينه فى أدب شعب من الشعوب — ومثله تقديس كاتب أو نخبة من الكتاب — معناه منع هذا الأدب من النمو والتطور ، الوقوف به عند حد معين لا يتعداه إلا بالثورة . والثورة تصلح ولكنها تحطم وتفسد فى نفس الوقت . ومع ذلك فقد تصبح فى بعض الاحيان شرا لا بد منه »

فهم بعض إخواننا من هذه الفقرات أنه يشير الى أسلوب « القرآن » وتحكمه فى نمو الأدب العربى ، وغضبوا لهذا الفهم جدا ...

وأنا أحب أن أعرض للمسألة على هذا الوجه ، وأن أحكم الحس الدينى فى مسألة أدبية

إن هذه الواقعة غير صحيحة فى ذاتها ومن أساسها بالقياس الى الأدب العربى وعكسها هو الصحيح . والأمر الذى اهتديت اليه فى كتابى الذى مر ذكره ، قد يبدو عجيبا لأول وهلة .

إنى أزعم أن الادب العربى لم يستفد بعد من أسلوب القرآن طوال هذه الاربعة عشر قرنا من الزمان ! بله تحكم هذا الاسلوب فى نموه ! لقد بقى القرآن مجهولا — من ناحية الفنية — طوال هذه القرون من العرب وغير العرب على السواء . فى الوقت الذى نضج البحث فيه عن النواحى التشريعية والاجتماعية والتاريخية واللغوية ...

ان سر التعبير القرآنى قد بقى مغلقا ، فلم يتأثر به الادب العربى فى صميمه مجرد تأثر . هناك اقتباسات ومحاكاة لفظية ، ولكن الطريقة والاتجاه قد بقيا سرا مغلقا الى الآن ، ولو قدر للأدب أن يستقى من هذا المعين لكان اليوم غير ما كان ... إن عيب الادب العربى الاول — كما قلت فى مقالى بالرسالة — أنه ضئيل الحظ من الصور والظلال ، وأن الذى يغلب عليه هو المعانى الذهنية والحسية ، والتعبيرات المباشرة التى لا تلقى ظلا ولا تشع حياة . وهو فى هذا نقيض الاسلوب القرآنى الذى يجعل الصور والظلال قاعدة فى التعبير ، والذى يحيل المعانى المجردة والحالات النفسية صورا ومشاهد وظلالا . كما يحيل كل جامد فى الطبيعة شخوصا حية وكل مشهد من مشاهدها جديد كأنما تراه العين أول مرة والذى يصور المعانى الذهنية كما تبدو من خلال نفس حية ... وهذا ما ينقص الادب العربى ليبلغ مداه .

ولن أستطيع هنا ضرب الامثلة ، ولا سرد بحث قد استغرق منى أكثر من مائتى صفحة . ولكننى أستطيع أن أجزم بعد الاستقراء الممكن للشعر العربى أنه لم يستق من معين القرآن . فقد تحكمت فيه — مع الاسف — تقاليد الشعر

الجاهلي فترة طويلة بعد وجود القرآن ، ثم تحكمت فيه المباحث الفلسفية والذهنية منذ القرن الثالث بل قبل ذلك ، فصار في معظمه أدبا حسيا ثم أدبا ذهنيا ، وقلت فيه الصور والظلال ، لانه أبعد عن معين الصور والظلال . فاذا آن له اليوم أن يرجع إلى هذا المعين ، فسيجد فيه الزاد الكثير ! ... إذا كان تحكم كتاب بعينه في الأدب الانجليزي قد عوق نموه فاننا كنا نتمنى تحكم كتاب بعينه في الأدب العربي ليدفع به الى الأمام.

* * *

وعلى كثرة ما أجاد الأستاذ عادل وهو يتحدث عن عيوب الأساليب العربية في النثر ، وعن الحسية والذهنية في الشعر ، وعن القصور المعيب في قواعد النقد ، فقد كان اندفاعه العنيف في هذا المجال سبباً في تجاوز القصد ، ومجانبة الصواب في بعض الأحيان . إننا نتفق معه في وجوب أن تملك نحن اللغة ولا تدعها تملكنا بأساليبها التقليدية ، وكل ما ذكره في هذا الصدد بالغ غاية الجودة ، ولكنه حين يتجاوز هذه المنطقة يأخذ في الذلو .

يقول مرة : « موضوعات الشعر العربي ـ فيما عدا الغزل ـ هي الحكم والفلسفة ، ثم النقد في صورة هجاء والوعظ في صورة مديح . فإذا تركنا الغزل جانبا وجدنا أن هذه الأغراض جميعا أجنبية عن الشعر ، لا بوصفه نظما ، ولكن بوصفه أداة تعتمد على إثارة الخيال . . »

وفي هذا الكلام غلطة أساسية . فليس هناك موضوع للشعر وموضوع للنثر . إنما العبرة بطريقة تناول الموضوع . ففي بعض حكم المتنبي مثلا شعر أصيل ينبعث من نفس حية ويوحي بشتى الانفعالات ، وفي هجاء ابن الرومي صور فنية بارعة مليئة بالحياة ، وفي بعض الوصف للبحتري إيحاءات وظلال شاعرية .. وهكذا .

فمن الخير أن ننظر في الفن دائما إلى طريقة تناول الموضوع لا إلى ذات الموضوع . فكل موضوع قابل للفن وقابل للعلم وقابل للفلسفة على نحو من الانحاء .

ورأي آخر في الشعر الغنائي .. فاني أرى بيننا فتنة لا تنتهي بالشعر القصصي والشعر الروائي . وأنا أزعم أن الأصل في الشعر هو الغناء . الغناء الذاتي الفردي . وأنه حين يتجاوز هذه المنطقة يكاد يتمدى خير مجالاته . وأنه إذا كان الشعر القصصي أو الروائي قد راج في حقب من الزمان ، فانه الآن غير قابل للحياة إلا بمعجزة ، وأنه آن للشعر أن يرتد غناء ، وغناء فحسب !

إن الشعر العربي لم يتخلف لأنه غناء ، ولكن لأنه لم يكن غناء حقا ! فلم يعرف كيف يغني فينطلق من قيود الحس والذهن إلا في القليل منه ، وهذا هو أخلد قسم فيه .

ونحن لا نوافق رأي أرسطو الذي يستشهد به الأستاذ عادل : « إن على الشاعر أن يتحدث عن نفسه أقل حديث ممكن وإلا فهو ليس بالمصور والمحاكي لأعمال الرجال كما يفترض فيه »

فلأرسطو أن يقول في هذا ما يشاء . فنقول له : كلا ! إن على الشاعر أن يتحدث عن نفسه أكثر حديث ممكن ، وله ألا يلتفت مرة واحدة إلى سواه !

* * *

ولدينا مباحث كثيرة قد أثارها الأستاذ عادل عن طبيعة اللغة العربية وعيوبها الذاتية كلغة ، والخلاف بيننا وبينه طويل في هذه المباحث ، وإن وافقناه في الكثير منها ، فنحن لا نرى النقص في صميم اللغة ، ولكن في أساليبها ، والأسلوب من صنع الأدباء وعليهم وحدهم أن يطوعوه . وعلى كل حال فنحن لا نجد الفراغ الكافي للجدل حول هذه المباحث ، لأننا نريد أن نعرض لنقطة أخيرة .

تلك هي مسألة الأخلاق ، ومسألة الكتابة عن المظاهر ، وبينهما نوع من الارتباط ، ولا نحب أن نطيل القول في هذا المجال ، فلنرجع به إلى قاعدة محدودة .

أمن الخير للانسانية أن تنطلق مع غرائزها وشهواتها ـ بلا ضابط ولا قيود ـ أم من الخير للانسانية أن تكون هناك كوابح وزواجر في صورة من الصور ؟

وبتعبير آخر : أمن الخير للانسانية أن تظل خاضعة للغرائز خاضعة للشهوات . أم من الخير للانسانية أن تتحرر من هذه الضرورات ـ ولو بالتسامي والتصعيد إذا كانت لم تبلغ حتى اليوم درجة التحرر التام ؟

أما نحن فلا نتردد في اختيار الوضع الأخير . وأما الأستاذ عادل فيجعل (جماعة القلعة) في قصته يرون الخير كله في إباحة كل محرم ، وفي الانطلاق من جميع القيود الأخلاقية ، للوقوع في جميع القيود الغريزية !

وهذا هو مفرق الطريق !

ثم إنه يتكر على بعض كبار الأدباء عندنا ، ويستشهد في

أذى كذلك تحرم هذه .

وقم إلى طفلك واحذر أن تلقى بذرة إنسانية مسمومة بالخمر أو الأمراض الخبيثة حتى ينبت وهو صحيح فى ظلمة الرحم ثم حافظ عليه وهو حمل جنين فلا تحمل مؤثراً عنيفاً يؤثر فيه حتى يخرج الطفل بريئا من عوامل الالتواء والاعوجاج فتعهده وتيقظ لتنمية حواسه وجسمه وافتح روحه وثقفه ، وكمله وهذبه .

وقم إلى روحك فاعتقد لها العقيدة الصالحة الصحيحة وتعبد بمقتضاها حتى توقظ فيك حياة الاتصال ببارىء الكون وتجعلك تحيل عليه جميع أمورك وهمومك وآمالك ، وتقدم إلى وجهه جهادك وصبرك . ثم قم إلى الجماعة التى تعيش فيها وأقمها على المنطق والمصلحة العامة واحمل الناس على الانصاف فإنك حينئذ ترى الفردوس المنشود .

٩ — كل هذا قد لا يملكه الفرد لنفسه وذريته وحياته ، ولكن تملكه الأمة لأفرادها إن أرادت ! وإرادتها حينئذ تكون من إرادة القدر الألهي . . بل إرادة النفس هى بدء إرادة القدر الذى فى حدود قوانين الحياة . أما القدر الذى يأتى من وراء الحدود فذلك أمره إلى الله وحده . وهو قليل ونادر جداً .

إن محمدا رسول الله هزم هو وجيشه فى يوم « أحد » ويوم « حنين » لأن فئة من جيشه لم تأخذ بما أمرها به العقل فتركت فى أحد أماكنها فى الصفوف لشهوة صغيرة ، وأعجبتها كثرتها فى حنين فلم يُحابِ قدر الله الجميع ولو كانوا أصحاب محمد لأن القدر لا يحابى من يخالف قوانين الحياة . وفى ذلك إرشاد بالغ للمسلم حتى يعتمد على فكره وإرادته بعد أن يطلب التوفيق من الله .

إننى أتصور فى بعض الأحيان أننى ألقيت بنفسى فى النيل ، أو لم أنحرف عن طريق ترام مقبل أو سيارة شبراً واحداً ، فاذا بحياتى تضيع لأنى أنكرت قوة من قوى الطبيعة لم أحسب حسابها أو استهزأت بها . وهى ذات بأس الحديد أو صمم النار أو غمر الماء .

إن الذى يقرأ القرآن مليون مرة فى مواجهة عدو مسلح لا يجديه ذلك شيئا كما يجديه أن ينفذ آية واحدة منه وهى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . الخ » ! ذلك لأن اللص لا يجديه شيئا أن يحفظ أو يتلو قانون العقوبات ، لأن هذا القانون لم يوضع للتلاوة والاستظهار بل للتنفيذ .

فالأوامر القرآنية منزلة لتنفيذها وإقامة الحياة بها لا « لحفظها » وإهمال تطبيقها . وتلك حقيقة أخطأ كثير من المسلمين فهمها مع الأسف .

وطبعا ليس فى هذا وعد بالجنة فى الأرض بناء على تنفيذ هذه الوصايا . . ولكن فى هذا زحزحة عن النار . . عن جحيم السخط والألم والنكران والجحود والشك فى قيمة الإنسان وفى العدل الألهى وعن النظر إلى حياة التدين كحياة كآبة وضعف وحزن وضنى وألم وسخط وندم .

وبعد « فلنحاسب » الله « ولنحاكم » عدله الآلهى بعقل سام وفكر كبير كفكره تعالى فى الطبيعة كلها . . وهذا لا يكون إلا إذا نظرنا إليه تعالى نظرة تتمثل فيها الإنسانية كلها لا نظرة أمة أو جماعة يزعمون أنهم شعبه المختار ، فهم لذلك يعتقدون أنهم أحق بكل ثروات الأرض وقوة الأرض وجنة السماء ! أو نظرة جماعة ذليلة مستعبدة فقيرة يملكون أن يموتوا أحرارا ولكنهم لم يفعلوا ورضوا بمذلات الحياة .

فمن سوء الإصرار وقلة الانصاف أن نظل نحاسب عدل الله بعقول أطفال قصار النظر يريدون أن يستأثروا بحبه تعالى لهم وحدهم ويحاربوا من عداهم من عياله .

ومن المضحك أن كل شعب يزعم أنه الشعب المختار . . أفراده أبناء الله وأحباؤه ! ومن المؤسف أن كل فرد فى كل شعب غير مهذب يريد ثروة الحياة كلها لنفسه وحدها !

إننا نستطيع أن نقيم العدل الألهى فى الأرض وأن نحصل على السعادة إذا تحررنا من تاريخ طفولة البشرية الذى لا يزال يصاحبنا ويتمثل فى غرائز الإنسانية تمثلا فظيعا يحيل حياة كل أمة إلى شقاء ، ويجعلنا كلنا نخسر التمتع اللائق بهذه الرحلة السعيدة التى دعانا الله إليها على هذه الأرض ، ويؤخر تقدمنا العلمى الذى يفتح علينا بركات من السماء والأرض تطعمنا من جوع وتؤمننا من خوف وتزودنا من طمأنينة اليقين بعدل الله والرضا عن الحياة .

عبد المنعم خلاف

٢٤٠٥